الجرمانية والاوروبية عموما · وصور الفيلوجيون الجنس الاري على انهم فلاحون اقوياء وعذريون يحيون حياة عائلية صحية ، لم يدخلها فساد · هنا تحول العلم اللغوي الى اسطورة تاريخية هي اسطورة تفوق هذا الجنس او ذاك·

وبعد ثورات سنة ١٨٤٨ حدث التحول الحاسم ، كما رأينا من قبل ، فقد مال الميزان بالتدريج ولكن بشكل نهائي في اتجاه المحافظة والقومية الرجعية الشوفينية ، وخفتت كفة الليبرالية الى حد كبير ، بعدما اصاب الذعر البورجوازية واصبحت القومية الرجعية الشوفينية هي الحاجز ، وهي الدرع الواقي في يد القوى المحافظة في مواجهة موجة الراديكالية المتعاظمة · حدث هذا على امتداد الساحة الاوروبية ، وفي وسط اوروبا ، وحتى في فرنسا وانجلترا وادار المحافظون وجهة القومية تجاه الضم والالحاق والتوسع من خلال الدبلوماسية والعدوان العسكري ، واصبحت الدولة هي اداة السلطة من اجل المجد القومي في الخارج والمحافظة على النظام من الداخل · اضمحل المفهوم الليبرالي التقدمي للقومية ليأخذ مكانة المفهوم المحافظ والرومنسي الرجعي · ولا جدال في ان الحرب النابليونية قد اسهمت في احداث هذا التحول ، وقد كان الليبراليون وحتى الرومنسيون الاول يؤمنون بالتعايش بين الامم وان العلاقة بين الدول تحكمها نفس العلاقة بين الافراد ولم يكن من قبيل الصدفة بعد ثورة سنة ١٨٤٨ ان يتناول الكونت دي جوبينو الفرنسي وهو رائد العنصرية الاوروبية الصريحة والفجة ، حجج الارستقراطيين القديمة ليصوغها صياغة جديدة في كتابه « بحث في تفاوت الاعراق البشرية » وقد صدر سنة ١٨٥٢ · في هذا الكتاب اعتبر النبلاء والعناصر ذات الانتاج الثقافي والفكري من الامة تنتمي للجنس الآري والتيوتون ، وهو يتحدث عن اللغة « النقية » للاريين ، ويقيم بحثه على اساس الانثربولوجيا وعلى اللغات كما تطورا في منتصف القرن · وكانت نظرياته العرقية تهدف الى تفسير العالم الغريب والمزعج الذي يعيش فيه· فاصبحت العرقية عنده هي تفسير الانحطاط في العصر · وقد صنف جوبينو السود والصفر والبيض وفق تركيبهم الاجتماعي واللغوي والفكري · فالاجناس الصفراء اثبتت انها مؤهلة للتجارة والصناعة ولكنها لا تصلح لما هو ابعد من هذه الاهداف المادية اما الاجناس السوداء فهي عاجزة عن خلق مجتمعات ثابته مستقرة وتحتاج الى سيطرة من الخارج · ومع ذلك فقد سيطرت عليه نظرة تشاؤمية ، فقد كان يرى ان مصير الجنس الاري المحتوم هو التدهور والانحطاط بسبب الاختلاط الذي لا سبيل الى تجنبه مع الاجناس الادنى (١٣) ، ولكن جوبينو لا يخفي هدفه فهو يعلن صراحة عداءه للاتجاهات التحررية واعجابه بالفيودالية ويوجه كراهيته لفكرة « الوطن » التي اطلق عليها « مخلوق فظيع من ابتكار الساميين ، والديمقراطية الليبرالية»· ومن الواضح ان جوبينو اسقط على هذه الاعراق والاجناس الصفات الحديثة التي كان يحتقرها ·